

مدونة الزيارة الشتوية لعام 2019

مواكبة العمل في منطقة مثل مدينة غزة قد يحتمل العديد من الطوارئ. وهو أمر بات معلوم لدينا. وللأسف كانت هذه حالتنا خلال رحلتنا الأخيرة الى غزة. حيث كانت خطة العمل تبدأ بزيارة الى الضفة الغربية خلال يومين, وبعدها زيارة مدينة غزة. لسوء الحظ, كان هناك تصعيد بين غزة واسرائيل في الليلة السابقة لموعد زيارتنا الى غزة. تواصل التصعيد مما أدى الى الغاء الرحلات الجوية في المطار بهدف تقصي أعلى درجات السلامة والأمن مما أدى الى الغاء رحلتي أنا كذلك. لكننا في نهاية المطاف وصلنا رام الله في ذلك اليوم. تمنينا جميعا أن يستقر الوضع ولكن التصعيدات استمرت لبضعة أيام. وبينما كان الوضع بالنسبة لأهل مدينة غزة وضعاً مرعباً ووقتاً عصيباً يمضي بصعوبة, كان بالنسبة لي الوضع عبارة عن زيادة فترة انتظاري في مدينة رام الله حيث بقيت لمدة تسعة أيام بدلا من يومين كما كان مخططا لدينا.

أفضل ما يمكن عمله عندما تكون الأمور سيئة هو محاولة تحويلها الى شيء جيد. لم أستطع أن أفعل الكثير من أجل سكان غزة, لكنني استطعت الاستفادة من فائض الوقت في رام الله.

أحد أسباب ذهابي الى رام الله الصيف الفائت, كان الاجتماع مع القائمين على ادارة المتحف الفلسطيني حيث تم التعاون معهم لإقامة المخيم الصيفي " أرض فن", وتم ربط المخيم الصيفي بالمعرض القائم في المتحف المسمى " تضاريس حميمة", وتم ذلك في رام الله وكذلك في غزة. كانت مفاجأة كبيرة لنا أن ادارة المتحف الفلسطيني اعتبرت هذا المشروع من أنجح المشاريع لعام 2019 التي تم تنفيذها بالربط بين غزة ورام الله. وبذلك جاء طلبهم ليس فقط لمواصلة التعاون فحسب, بل اقترحوا أيضا توسيع المشروع للعام المقبل. وسألوا عما اذا كنا مهتمين بمشروع آخر مثل مشروع " أرض فن" واقترحوا أن يكون هذه المرة تحت عنوان " القرى الساحلية الفلسطينية", ويكون تنفيذه ليس فقط بين مدينتي رام الله وغزة وانما يضم مدن أخرى مثل عكا ويافا ومخيم اللاجئين الفلسطينيين في لبنان. نحن سعداء بهذه الخطة ونتطلع بالفعل لبدء هذا المشروع في الصيف المقبل.



وبعد معرفتي بأنني سأمضي وقتاً أطول في رام الله، قمت بزيارة مقر جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني (المؤسسة الحاضنة لعملنا في غزة) واقترحت عليهم أن يعملوا معا على انشاء اتفاقية جديدة لعام 2020. يتوجب علينا تحديث اتفاقنا القديم والعمل على تحديثه كان رائعا خاصة أن نتاح لي الفرصة بالعمل مع الفريق عن قرب بدلا من العمل من خلال الاتصال الالكتروني البعيد.

وفي النزول الذي كنت أقيم فيه، حدث شيء مميز وغير متوقع، حيث قابلت العديد من السياح الذين كانوا مسافرين عبر اسرائيل. معظمهم لم يتوقع على الاطلاق زيارة الضفة الغربية. كانوا يعتقدون في البداية أنها كانت منطقة حرب مليئة بالمتطرفين. خلال رحلتهم، شعروا جميعا بالفضول وقرروا تجربة زيارة مدينة رام الله. كان ذلك بمثابة هدية حقيقة أن ترى افتراضاتهم عن الشعب الفلسطيني تختفي خلال الساعات الأولى وأن أفكارهم عن المنطقة وطبيعة الصراع قد تغيرت بشكل جذري في غضون يوم أو يومين فقط. كان جميع الناس في النزول (المسافرين وكذلك الفلسطينيين المحليين) مهتمين جدا لسماع قصص من مدينة غزة ومعرفة المزيد حقيقة شكل الحياة هناك بالفعل. لقد كانت فرصة عظيمة لمشاركة تلك القصص واعطاء ملامح الوجه الحقيقي عن الناس في غزة. في الوقت نفسه، كان شيء صادم لدينا أيضا ان ندرك كم هو قليل من الناس الذين يعرفون ما يجري في غزة على أرض الواقع.

بعد تسعة أيام في رام الله، هدأت الأوضاع في غزة أخيرا بما يسمح أن أتمكن من الدخول. كان من الرائع رؤية الجميع، خاصة بعد ما حدث في الأيام السابقة. في الوقت نفسه، كان من الصعب أيضا اخفاء الشعور بتأثير الهجمات على هؤلاء الأشخاص. وراء الابتسامات والنكات كان يكمن ثقل لا يمكن اخفائه من الارهاق والشعور باليأس. حتى أهل غزة لديهم حدود لما يستطيعون تحمله، وقد أصبح الحد قريبا جدا.



كان أول نشاط لي في غزة هو زيارة أكاديمية السبت. وهي مبادرة جديدة من قبل HOPE حيث يمكن للأطفال الذين لديهم حساسية عالية نحو الفنون إيجاد مكان آمن لتطوير أنفسهم ومهاراتهم في هذا المجال. في الأكاديمية تم دعوة محترف في رسم الكارتون لتعليم الأطفال كيفية رسم شخصية للقصة. وقد كان درسا رائعا حيث أظهر الأطفال حماسهم للعمل. وبعد الانتهاء من هذا الدرس انشغل الأطفال في الكتب الفنية التي أحضرتها لهم. أدهشتني كثيرا قدرة هؤلاء الأطفال على التركيز. شعرت بدهشة أكبر أيضا جعلتني أبقى صامتة لوهلة أمام ما أظهروا الي من أعمال في يوم السبت وهو اليوم التالي مباشرة للهجمات التي عايشوها. ان مقدار الخوف الذي تختزله بعض اللوحات يثير القلق حقا خاصة عندما تدرك أنها من قبل أطفال. أخبرني المعلمون أن هذا السبت بالذات, وصل الأطفال وحالة الصدمة ظاهرة على وجوههم, حيث سادت حالة من الصمت بينهم وبالكد بدأوا بالكلام. عمل هؤلاء المعلمون معهم لمدة خمسة ساعات كاملة, وتحدثوا عما حدث, وشاهدوا الأعمال الفنية الاحترافية, ثم رسموا باستخدام تقنية لامنهجية ورحبة أكثر في استخدام الألوان. وأظهر المعلمون رأيهم بما انعكس على الأطفال بعد هذه المبادرة من روح أكثر ايجابية والابتسامة على وجوههم.



في اليوم التالي بدأت العمل في الاستوديو المفتوح. وبما أن الوقت المخصص لهذه الزيارة قد تقلص, لم يعد الوقت في صالحه للقيام بكل ما خططنا له, ولكن ما أمكنني فعله على الأقل هو القيام بصناعة فيلم رسوم متحركة مع مجموعة من الأطفال الصم. علي الاعتراف أنني شعرت بنوع من السخف في البداية بأن أقوم بشيء ببساطة الأوريغامي للأطفال بعد ما عانوه من هول الهجمات الصاروخية الثقيلة, لكن قيمة العمل أثبتت عكس ذلك مع الأطفال.

تقع صعوبة صناعة أشكال الأوريغامي مع الأطفال في القدرة على الاستحواذ على تركيزهم. وهو أمر ايجابي حيث أبقى أذهانهم بعيدة عن أي أفكار سلبية. في الوقت نفسه, كان الفخر على وجوههم بعد الانتهاء من الأشكال حقا لا يقدر بثمن.

بالنسبة لهؤلاء الأطفال, الذين يستخدمون أيديهم غالبا في لغة الإشارة, لاقى هذا النشاط ترحيبا كبيرا من قبلهم. جاءت احدى الفتيات الي فقط لتشكرني على تعليمهن شيئا جديدا. لقد كان ذلك رائعا حقا, ولن أدهش اذا وجدت الغرفة مليئة بإبداعات أوريغامي في زيارتي القادمة.



مع مجموعة من الأطفال الصغار الذين يعانون من إعاقات مختلفة، قمت بإعطاء درس يتعلق بكتاب جديد اسمه "الألوان الصغيرة" عن الألوان التي أحضرتها معي من هولندا. وقد قرأنا الكتاب معا، وشاهدنا بعض الأفلام حول العناصر الأساسية للفن، ثم قمنا بتمرين ممتع للغاية حيث تعلموا كيف تعتمد جميع الألوان في تكوينها على الأحمر والأصفر والأزرق. كان من الممتع جدا رؤية الأطفال يطلون الألوان بشغف على الورق حيث أبهرتهم الألوان بمزيج يتجدد مع حركات أيديهم.



كما قدمت مجموعة من الأطفال من بلجيكا بعض البطاقات لأطفال غزة. وخلال زيارتي الى المدينة قمت بإعطائهم البطاقات وقاموا هم بالمقابل بإعداد بطاقات للأطفال في بلجيكا. والخطوة التالية تقوم على صناعة أفلام صغيرة من كلا الطرفين; الأطفال في بلجيكا وغزة يتم تبادلها أيضا. الفنون هي وسيلة رائعة لإقامة صلات بين الأطفال في هذه العوالم المختلفة. وأخيرا, خلال زيارتي كان التركيز على خطط للعام المقبل, حيث تحدثنا عن خطط الاستوديو المفتوح للعام 2020 وكان صلب الحديث عن الاعداد للمخيمات الصيفية. كون مدينة غزة منطقة مغلقة تماما لم يترك الخيار مفتوحا لطبيعة قضاء فترة الاجازة الصيفية وهذا يجعل المخيمات الصيفية هي أفضل طريقة للأطفال للتسلل الى فصول الصيف الحارة. في الصيف المقبل سيكون لدينا مجموعة كبيرة من المخيمات لتنفيذها:

- سيقوم فريق الاستوديو المفتوح بإنشاء معسكر صيفي كبير يقوم من خلاله بتنفيذ العديد من الرحلات والأنشطة المتعلقة بموضوع التراث الفلسطيني.
- Break Dance MYUZ ستقوم بتدريب مجموعة من الأطفال في مخيم مكرس لرقص البريك.
- سيدير الشاعر والمخرج المسرحي ماهر داوود معسكرا للمسرح يقوم الأطفال من خلاله بتقديم عروض تعالج موضوع عمالة الأطفال.
- تنظم جاليري المعاصرة في شبابيك معسكرا فنيا للشباب والمراهقين الموهوبين.
- وسيكون لدينا معسكر " أرض فن " مع المتحف الفلسطيني.

لا يسعنا الانتظار شوقا حتى بداية الصيف!

في آخر يوم في غزة, كنت سعيدة جدا لحضور حفل افتتاح معرض الأعمال التي قام بها الأطفال في الاستوديو المفتوح. وقد أدهشنا كل من آلية الاعداد للمعرض الى جودة الأعمال المقدمة حيث كانت هناك أعمال تمزج بين التقنيات المختلفة للفنون واللوحات التي صنعها الأطفال مع آبائهم ولوحات غزة 2020) وهي السنة التي تتوقع الأمم المتحدة أن تصبح فيه غزة غير صالحة للسكن). كان اهتمام البيئة المحيطة من المجتمع مرتفعا للغاية وهم يندفون ثمرات المعرض في الضفة الغربية حيث رفعت القبعات كتحية كبيرة.



على الرغم من ان مجمل وقتي الذي قضيته في غزة أثمر عن عملا ناجحا , والكثير من المرح خلال اعداد الخطط الجديدة, الا أنني غادرت المدينة بقلب مثقل الحزن. التحدث الى الناس يعلمك عن الصورة المظلمة التي تكونت لديهم نحو المستقبل. فنتنبؤ الأمم المتحدة بان غزة ستصبح غير قابلة للسكن بحلول 2020 لم يكن بعيدا عن تفكير غالبية الناس. ان الظروف المعيشية السيئة, والافتقار الى الرعاية الطبية الجيدة , والفقر والخوف من الأوبئة أو المزيد من الهجمات العنيفة تلحق أضرارا تترك ندبا عميقا بقلوب الناس. انهم اناس لم يفقدوا من انسانيتهم شيئا, فهم رغم كل شيء يواصلون حياتهم, ويواصلون تبادل النكات و الضحك عليها, ويواصلون الرقص والطلاء. نتمنى فقط أن تتاح لديهم الفرصة ولأجيالهم القادمة لمواصلة حياتهم في ظروف أكثر انسانية. وحتى يحين ذلك سنواصل نحن بدورنا بجلب مساحات من الفنون والخيال كملجأ للهروب.

شكرا للقراءة, وننتطلع الى الزيارة القادمة في الربيع المقبل.

